

محمد عطية الإبراشي

عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْخَلِيفَةُ الْمَعَادِلُ

قَصَصُ إِسْلَامِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بُنَى الْعَزِيز :

لَقَدْ عَرَفْتُ كَثِيرًا عَنْ أَخْلَاقِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ ، وَسَأَذْكُرُ لَكَ هُنَا حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً ،
تَعْرِفُ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ عَادِلًا يُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَيَكْرَهُ
الظُّلْمَ ، وَيُعَامِلُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ مُعَامَلَةً وَاحِدَةً .

عَدْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

فِي يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي
أُمَيَّةَ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَهُمْ حُكَّامًا لِبَعْضِ
الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَقَالُوا لَهُ : أَلَسْنَا أَقَارِبُكَ ؟
فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ يَسْتَوِي عِنْدِي الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ .
وَإِنِّي أَفْضَلُ مَنْ أَعْتَقَدُ فِيهِ الْخَيْرَ لِلْأُمَّةِ ،

وَالْيَمَنَ (الْبَرَكَهَ) لِلرَّعِيَّةِ .

فَعُمِّرَ كَانَ مِنْ أَعْدِلِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
مَيَّالٌ بِطَبْعِهِ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ ،
وَلَكِنَّ عُمَرَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، بَلْ كَانَ يُقَدِّمُ
الْإِنْسَانَ لِحُسْنِ عَمَلِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَقَارِبِهِ .

عُمَرُ يُفْتِي بِالْعَدْلِ :

وَذَاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَهُوَ خَلِيفَةٌ - فِي طَلَبِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
فَحَضَرَ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْجَالِسَ خَاطِبُهُ
بِقَوْلِهِ : نَزَعَ اللَّهُ لِحَيِّكَ . وَبِمَا حَدَّثَ مِنْهُ
مِنَ الشَّئْرِ . فَسَكَتَ عُمَرُ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ .
فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : لَا بُدَّ أَنْ تُفْتِنِي فِي شَيْءٍ
هَذَا الرَّجُلِ لِي .

فَقَالَ عُمَرُ : أَرَى أَنْ تَشْتِمَهُ كَمَا شَتَمَكَ .
 فَقَالَ سُلَيْمَانُ : لِمَاذَا لَا تُفْتِي (تَحْكُم)
 بِقَتْلِهِ ؟
 فَقَالَ عُمَرُ : لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِشَتْمِ أَحَدٍ إِلَّا
 رَجُلٌ شَتَمَ نَبِيًّا .
حَامُّهُ وَعَذْلُهُ :

لَمَّا تَوَلَّى عُمَرُ الْخِلَافَةَ ، خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ
 إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْحَرَسِ . فَلَمَّا
 دَخَلَ سَيِّدُنَا عُمَرُ الْمَسْجِدَ مَرَّ فِي الظَّلَامِ
 بِرَجُلٍ نَاسِمٍ ، فَعَثَرَ بِهِ . فَرَفَعَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ
 إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَمَجُنُونَ أَنْتَ ؟
 فَقَالَ عُمَرُ : لَا . فَاغْتَاظَ الْحَارِسُ مِنَ
 الرَّجُلِ ؛ لِأَنَّهُ وَبَّخَ الْخَلِيفَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَهُمَّ (أَرَادَ) أَنْ يُؤْذِيَ الرَّجُلَ النَّائِمَ ، ظَنًّا مِنْهُ
أَنَّهُ يُرْضَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَذِيَّتِهِ .
فَمَنَعَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الرَّجُلَ
لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ سَأَلَنِي : أَمَجُنُونُ أَنْتَ ؟
فَقُلْتُ : لَا .

فَعُمِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ حَايِمًا عَادِلًا ، يَغْفِرُ
عَمَّنْ يُخْطِئُ بِغَيْرِ قَصْدٍ .

عُمَرُ وَحَاكِمُ خُرَاسَانَ :

وَذَاتَ يَوْمٍ كَتَبَ إِلَيْهِ عَامِلُهُ (الْحَاكِمُ) عَلَى
خُرَاسَانَ يَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ سَاءَتْ
أَخْلَاقُهُمْ ، وَلَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ ،
فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ (يَسْمَحَ) لِي
فِي ذَلِكَ فَعَلَّ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : بَلَّغْنِي كِتَابُكَ (خِطَابُكَ) ،
وَإِنَّكَ تَذَكُّرُ أَنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُمْ ،
وَأَنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ ، فَقَدْ
كَذَّبْتَ ، بَلْ يُصْلِحُهُمُ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ .

فَابْسُطْ (أُنْشُرْ) ذَلِكَ فِيهِمْ وَالسَّلَامُ .
فَعُمَرُ كَانَ يَعْرِفُ أَحْوَالَ رَعِيَّتِهِ ، وَيُرْشِدُ
حُكَّامَهُ إِلَى أَحْسَنِ الطَّرِيقِ لِإِصْلَاحِهِمْ .

عُمَرُ يُسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ :

وَفِي يَوْمٍ خَرَجَ رَاكِبًا لِيَعْرِفَ أَخْبَارَ الْبِلَادِ ،
فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ
حَالِهَا . فَقَالَ : إِنَّ الظَّالِمَ فِيهَا مَهْزُومٌ ،
وَالْمَظْلُومَ بِهَا يَنْصُرُهُ الْجَمِيعُ . وَإِنَّ الْأَغْنِيَاءَ
كَثِيرُونَ . وَالْفُقَرَاءَ يَأْخُذُونَ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ .

فَسَرَّ عُمَرُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونَ
الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

عُمَرُ وَالرَّجُلُ الْفَقِيرُ :

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَهُ رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ ، وَوَقَفَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِسْتَدَّتْ بَنِي الْحَاجَةِ ، وَأَنْتَهَتْ بِحَيِّ الْفَاقَةِ
(الْفَقْرُ) . وَاللَّهُ سَأَلُكَ عَنْ هَذَا .

فَقَالَ لَهُ : مَا عِيَالُكَ ؟ فَقَالَ خَمْسَةٌ :
أَنَا وَامْرَأَتِي وَثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ .
فَفَرَضَ لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ إِعَانَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

عُمَرُ وَالْمَرْأَةُ الْعِرَاقِيَّةُ :

وَقَدِمْتُ (جَاءْتُ) إِلَى عُمَرَ امْرَأَةٍ مِنَ الْعِرَاقِ ،

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ ، سَأَلَتْ : هَلْ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ حَاجِبٌ ؟

فَقَالُوا : لَا . أَدْخِلِي إِنْ أَحْبَبْتِ . وَكَانَ
لِمِثْلِهَا الْحَقُّ فِي أَنْ تَدْخُلَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ .
فَدَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجَتِهِ ، فَوَجَدَتْ فِي
يَدِهَا قُطْنًا تَغْزِلُهُ ، فَسَأَمَتْ وَجَلَسَتْ ، ثُمَّ
نَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا غَالِيًا فَقَالَتْ :
إِنَّمَا جِئْتُ لِأَعْمَرَ بَيْتِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْخَرَابِ .
فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ : إِنَّمَا خَرَبَ هَذَا الْبَيْتَ
تَعْمِيرُ بُيُوتِ أَمْثَالِكِ .

وَحِينَمَا دَخَلَ عُمَرُ الدَّارَ ذَهَبَ إِلَى الْمَرْأَةِ
وَسَأَلَهَا : مَا حَاجَتُكَ ، وَمَاذَا تُرِيدِينَ ؟
فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، لِي خَمْسُ
بَنَاتٍ ، قَدْ رَغِبَ عَنْهُنَّ (تَرَكَهُنَّ) الْأَزْوَاجُ لِفَقْرِهِنَّ .

فَجِئْتُكَ أَرْجُو حُسْنَ نَظْرِكَ لَهْنٌ .
فَأَخَذَ الدَّوَاةَ وَالْوَرَقَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى حَاكِمِ
الْعِرَاقِ ، فَقَالَ : مَا اسْمُ الْكَبِيرَةِ مِنْهُنَّ ، فَذَكَرْتُ
اسْمَهَا .

فَفَرَضَ لَهَا (حَدَّدَ لَهَا إِعَانَةً) ، وَأَمَرَ بِإِعَانَةٍ
لِلثَّانِيَةِ ، وَالثَّالِثَةِ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمَدُ اللَّهَ فِي
كُلِّ مَرَّةٍ . وَاشْتَدَّ فَرَحُهَا حِينَمَا أَمَرَ بِالْإِعَانَةِ
لِلرَّابِعَةِ . فَدَعَتْ لَهُ بِخَيْرٍ ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ .
فَقَالَ لَهَا : كُنَّا نَفْرِضُ لَهْنًا إِعَانَةً حِينَمَا
تَحْمَدِينَ اللَّهَ الْمُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ ، فَكَلَّفَنِي هَؤُلَاءِ
الْأَخَوَاتِ الْأَرْبَعِ الْإِنْفَاقَ عَلَى أُخْتِهِنَّ الْخَامِسَةِ
مِمَّا أَعْطَاهُنَّ اللَّهُ .

فَذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ بِالْخِطَابِ إِلَى الْعِرَاقِ .

وَصِيَّتُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ :

لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ (الْمَوْتُ) جَمَعَ أَوْلَادَهُ ،
وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى مُلِئَتْ عَيْنَاهُ بِالْذُّمُوعِ .
ثُمَّ قَالَ : أَفْدَى بِنَفْسِي فِثْيَةً (جَمْعُ فَثَى)
تَرَكْتُهُمْ وَلَا مَالَ لَهُمْ . يَا بَنِيَّ ، إِنِّي خَيْرْتُ نَفْسِي
بَيْنَ أَنْ تَفْنَقِرُوا فِي حَيَاتِكُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ
أَبُوكُمْ النَّارَ ، فَاخْتَرْتُ الْأَوَّلَ .

يَا بَنِيَّ ، حَفِظْكُمْ اللَّهُ وَرَزَقَكُمْ ، وَقَدْ تَرَكْتُ
أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ .

وَكَانَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ (مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ) خَالَ أَوْلَادِهِ فَوَهَبَ لَهُ (أَعْطَاهُ) أَرْبَعِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ لِيُفَرِّقَهَا عَلَى أَوْلَادِهِ ، وَقَالَ لَهُ :
بِنَفْسِي رَاضِيَةٌ فَعَلْتُ .

فَقَالَ عُمَرُ : فَرَّقَهَا عَلَى مَنْ أَخَذَتْ مِنْهُ ظُلْمًا .
فَقَالَ لَهُ مَسَامَةٌ : لَقَدْ جَمَعْتَ عَلَيْنَا قُلُوبًا
مُتَفَرِّقَةً ، وَجَعَلْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ ذِكْرًا
حَسَنًا .

وَقَدْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَسْمُومًا سَنَةَ ١٠١ هِجْرِيَّة .
وَقِيلَ إِنَّ السُّمَّ قَدْ دَسَّهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
لِيَكُونَ خَلِيفَةً ، بِوَاسِطَةِ خَادِمٍ ، وَضَعَ السُّمَّ
فِي الْمَاءِ ، وَسَقَاهُ لَهُ .

مَاتَ وَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً :

رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ رَحْمَةً وَاسِعَةً بِقَدْرِ مَا أَحْسَنَ
إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَالْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ .